ماوقع لابراهيم عليه السلام في الوقت الذي قال لجبريل عليه السلام اما اليك فلا لانه غاب بنفسه
بالله تعالى فلم ير مع الله غير الله قال الشارح رضي الله عنه وهذا الكلام عال وهو قوله اعلى حقيقة
التوكل يعني اعلى احوال المتوكلين ما جرى لابراهيم وهو انه مكتوف مربوط في كفة المنجنيق بين السما
والارض يهوي الى نار لم يتمكنوا من ايصاله اليها الا بكفة المنجنيق من شدة حرها ووقودها
فاتاه وهو في هذا الحال اعظم الاسباب وهو الملك المختص بالرسالة من رب الارباب الذي رفع
بلاد قوم لوط على جناحه فاقلبها ويهلك بامر ربه ما يشا ويصرف عنه جميع الالام ويذهبها
قال له الك حاجه فاعرض عن اعظم الاسباب في وقت اعظم المخاوف وتعلق برب الارباب
واجاب اما اليك فلا قال الامام رضي الله عنه وسمعته يقول سمعت سعيد بن احمد بن محمد يقول
يقول سمعت محمد بن احمد ابن سهل يقول سمعت سعيد بن عثمان الخياط يقول سمعت ذا النون
المصري وساله رجل فقال ما التوكل فقال خلع الارباب وقطع الاسباب فقال السايل زدني
فقال القا النفس في العبودية واخراجها من الربوبية قال الشارح رضي الله عنه ما قول
ذي النون خلع الارباب وقطع الاسباب فقوله خلع الارباب اشاره الى كل ما ملك القلب وبصر
مستخدما له كما قال صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار عبد الدرهم وعبد القطيفة والخميصة
فجعله عبدا وجعلهم له اربابا واما قطع الاسباب فهو اشاره الى كل سبب يعتمد العبد عليه في كل
ارب ومتى خلع العبد الارباب وقطع الاسباب ولم يبق له معتمد سوى رب الارباب فهو المتوكل
فقال له السايل زدني فقال القا النفس فقوله له القا النفس في العبودية اي تكون دايما في الاشتغال
بما امرت به ونهيت عنه واخراجها من الربوبية اي سلبها عن القدرة على شي مما يتعلق بنفعها
او بضرها واضافه ذلك الى مالكها وخالقها فكلمه اولا رضي الله عنه بكلام رفيع عسر عليه
فهمه فلما قال زدني في البيان خاطبه على قدر فهمه وقال له اعمل بما امرك الله به
وبما نهاك عنه واخرج نفسك عن القدرة عن نفع نفسك او دفع ما يضرها بوجه من الوجوه
وهذا الكلام قريب الى فهم كل احد من الناس وهذا يدل على انهم لا يتعرضون للتجريد
وانما يقصدون التعليم والتفهيم وتختلف الفاظهم باختلاف حال من يخاطبوه قال
الامام رضي الله عنه وسمعته يقول سمعت عبد الله بن محمد المعلم يقول سمعت عبد الله بن
المبارك يقول سمعت حمدون وسيل عن التوكل فقال ان كان لك عشرة الاف درهم
وعليك دانق دين لم تامن ان تموت ويبقى ذلك في عنقك ولو كان عليك عشرة الاف
درهم دينا من غير ان تترك لها وفا لا تايس من الله تعالى ان يقضيها عنك قال الامام الشارح
رضي الله عنه وهذا يرجع الى خوف المعاجلة قبل الخلاص من الحقوق لان قوله لو كان
لك عشرة الاف درهم وعليك دانق دينا ما تامن ان تموت وهو في ذمتك فعجل قضاه ولا
تغتر واما قوله لو كان عليك عشرة الاف درهم دينا وليس عندك لها قضا لم تايس ان

يقتضي

يقتضي الله عنك فهذا يحتمل وجهين احدهما حسن الظن بالله ان يرضي عنه ارباب الديون
الاخرة والثاني ان يقتضي الله عنه ذلك في الدنيا وهذا بعيد من التوكل اللهم الا ان يريد انك اذا
تداينت فيما لا بد لك منه او في وجه من وجوه الطاعات اعتمادا على ان الله يقضي عنك
لانك اخذت في وجه من وجوه ما امر الله به والتوكل وهو اعتماد على الله في القضا في وقت
الاخذ وان لم يكن للشخص مال وشرطه ان يعرف ذلك من حاله ويكون اخذه لله كما تقدم
قال الامام رضي الله عنه وسيل ابو عبد الله القرشي عن التوكل فقال التعلق بالله تعالى في كل
حال فقال السايل زدني فقال ترك كل سبب يوصل الى سبب حتى يكون الحق هو المتولي لذلك
قال الشارح رضي الله عنه فقوله التعلق بالله في كل حال جيد وهو اعتماد القلب على الله في كل
عمل دينا ودنيويا وهذا انه كما به فلما قال له زدني اي في البيان قال له الاعراض عن كل
سبب يوصل الى سبب ومعناه ان تعرض بقلبك عن الاسباب بالكلية سوا كان السبب
مباشرا للمطلوب او يودي الى سبب اخر ينال به المطلوب فاجابه اولا بحقيقة التوكل
وعبر عنه بالتعلق بالله فلما لم يفهم قال له اعرض عن الاسباب في تحصيل مقصودك فهذا
عام في كل سبب اي اذا اعرض العبد عن الاسباب لزم عن ذلك تعلقه بالمسبب في تحصيل
مطلوبه قال الامام رضي الله عنه وقال سهل بن عبد الله التوكل حال النبي صلى الله عليه
وسلم والكسب سنته فمن بقي في حاله فلا يتركن سنته قال الشارح رضي الله عنه
وهذا الظاهر منه يدل على ان التوكل يضاد الكسب وان الشخص اذا لم يقدر على التوكل
اكتسب وايضا فان الكسب والتوكل جميعا هما سنة النبي صلى الله عليه وسلم وامر به
عن الله تعالى وان كان بعض ذلك افضل من بعض في حال فان التوكل من اعمال القلب وهو
الاعتماد على الله تعالى وهذا عام في كل حال وفي كل عمل دنيوي واخروي وهو حال الانبيا
والاقويا من الاوليا ان يكونوا السابق لقلوبهم في تحصيل مقاصدهم افتقارهم اليه في
امورهم واعتمادهم عليه هذا هو الذي عبر عنه انه حال النبي صلى الله عليه وسلم وكل من لم
يصل الى هذا الحال الشريف ويتعاطى الاسباب الشرعية في تحصيل مقصوده وسكنت
نفسه الى ما اجراه الله به من العادة في ربط المسببات بالاسباب وسبقت نفسه الى
هذه الامور العادية ولم يعتقد ان ذلك دون الله بل علم انها سنة الله في ان من حرث في
ارض طيبة وزرع حصل له النبات وكذا الا من تجر حصلت له الفوايد الى غير ذلك
من الاسباب العادية فهو ساع فيما شرع له والحج ما لم تسكن نفسه الى الاسباب وابح
ويعرض عن المسبب وانما يتعاطاها لان سنة الله جرت على ما هي عليه في عوايد فهذا
هو المعبر عنه فلا يتركن سنته وروح هذه الوصية ان القوم لم يبلغوا مقام التوكل
على التحقيق ولم يتعاطوا الارزاق بالوجوه المشروعة وقد رغبوا بالكسل وركبوا

Copyright © King Saud University